

الأم البديلة (١)

قرائي الأعزاء:

حينما نقف وقفة تدبر مع أهم القنوات المسؤولة في التربية في المجتمع؛ نرى أن البيت هو القاعدة الأساسية للتربية، فالأسرة هي النواة الأولى في القيام بالعملية التربوية، ويبدو ذلك من اختيار الزوجة الصالحة ذات المنبت الحسن، والمعدن النفيس، حين تعد الزوجة لتكون مربية فضلى، ومدرسة أولى، ويتدرج ذلك حين يفتح الطفل عينيه في أحضان أبويه، ليجد العناية المعنوية، والتربية الإيمانية قبل العناية المادية، انطلاقاً من الواجب في الإسلام، وفي ذلك يقول ربنا: (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً). يقول أهل التفسير: أي علموهم وربوهم وأدبوهم مما يكون وقاية لهم من عذاب الله، ثم هنا سؤال مهم أطرحة وأخص به أخواتي النساء، فأقول من يعلم الطفل أولى كلماته؟ ومن يقوم بحمله وتغسيله وإعداد طعامه؟ مَنْ؟ وَمَنْ؟ وَمَنْ؟... أسئلة كثيرة تبحث عن جواب، ولا شك أن الإجابة ستكون منكن بصوت واحد: إنها الأم.

ولكن في هذا الزمان الذي عظمت غربته واشتدت كربته وساءت أحواله أصبحت الإجابة غير ذلك، فأقولها وبجراحة وبأسف شديد إنها الأم، ولكن ليست الأم الحقيقية، ولكنها البديلة، إنها الخادمة، وما أدراك ما الخادمة.

ولأهمية هذا الموضوع صار هو حديثي معكم حيث أن بيوتنا قد امتلأت بالخدم والحشم، أحببت أن أذكر بعض الضوابط والقصص المناسبة حول هذا الموضوع، وكذا بعض الحقوق المهمة التي قد نتناساها، وفي غفلة الأم وانشغالها عن طفلها أصبح الطفل إلى الخادمة، وقد يبكي لفراقها، وليس الغريب أن يكون عند أكثر البيوت خادمة، بل ولأن أقول لكم لماذا عندكم خادمة ولا تحضروا الخادمة، لأن الخادمة الآن موجودة وكأنها قد فرضت علينا، وهذا واقع لا بد أن نقر به شئنا أم أبينا، وقد ابتلينا به والله المستعان، بل لا يكاد يخلو أي بيت من تلك الخادمة، وقد يُستغرب من بيت لا يوجد به خادمة، ويعود ذلك لعدة عوامل فمن ذلك الطفرة الاقتصادية التي نعيشها منذ عقدين من الزمن، ودخول المجتمع في عصر الترف واتساع وتعدد مجالات عمل رب الأسرة، وخروج المرأة

وغياها عن المتزل لعمل أو نحوه وتقصير بعض الزوجات في واجباتهن المتزلية، واتجاه كثير من الأزواج لراحة الزوجة، وغيرها من العوامل، ولأجل ذلك لن أناقش هذا الأمر. قرائي الأكارم:

لماذا لا نضع ضوابط نسير عليها في اختيارنا للخادمة (لأنها سوف تكون أحد أفراد المتزل تعيش معهم وتأكل معهم وتطلع على أسرارهم وتعلم خفايا غرفهم، وتسمع وترى فرحهم وترحهم، ومن السفه ترك المواصفات كالدين والخلق وتجاوزها إلى الحرص على أن تكون ماهرة في الطبخ وجميلة أو نحو ذلك).

ومن ذلك تجدد بعض الناس قد يتساهل فيختار الكافرة على الاستقدام ويفضلها على المسلمة، وهذا أمر خطير ومنكر كبير لأن ذلك يفضي إلى موالاة الكفار بالنفقة عليهم والاطمئنان لهم، وإن أعظم الخطر يكون على الأطفال لأنهم يجهلون أمور الدين فيسهل التأثير عليهم فيتعلمون طقوس بعض الديانات الباطلة، فبعض الفتيات شوهدت وقد علقت في رقبتها الصليب، وعندما سئلت عن ذلك أجابت بأنها هدية من الخادمة التي عندهم. وقد شوهد في بعض بيوت المسلمين بعض أطفال يؤشرون بعلامة التثليث على الرأس وجانبي الصدر كما يفعل النصارى، وذلك اقتداءً بذلك السائق أو الخادمة، ومن الضوابط التي يجب توافرها في الخادمة شرطان أساسيان ورد في قوله تعالى (إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ) سورة القصص، الآية (٢٦). فالقوي إشارة إلى إحكام في العمل والمهارة فيه، والأمانة إشارة لإخلاص العامل في عمله برعاية حدود الله تعالى ورعاية حق المخدم وللحديث بقية في لقائنا القادم إن شاء الله.